جامعة محمد خيضر – بسكرة.

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية قسم : التاريخ.

مقياس: تاريخ الجزائر المعاصر – السداسي الثاني–

المحاضرة 4: الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (U.D.M .A) 1946–1954

الأستاذة:بكرادة جازية.

لقد ذكرنا سابقا أن الحركة الوطنية قد أعيد بناؤها بعد قانون العفو العام يوم 01 مارس 1946 ،ولهذا نجد أن فرحات عباس قد عمد إلى تأسيس حزبه واستئناف العمل السياسي بعد إطلاق سراحه.

1 –التأسيس:

إن التتبع لفكر فرحات عباس يجده كان يتغير من فترة لأخرى، من مطالبته بالاندماج والمساواة في بداية نضاله، إلى الدعوة إلى إقامة جمهورية جزائرية مرتبطة مع فرنسا رافضا بذلك الاندماج والاستعمار ،قد تبلورت هذه الفكرة خلال الحرب العالمية الثانية، التي نشط نشاطا مكثفا خلالها من أجل هذه الفكرة، كما أنه حضّر لمظاهرات 08 ماي 1945، والذي تأثر من حوادثها الدموية وخلص إلى كتابة وصيته السياسية والتي تعتبر بمثابة استقالة من العمل السياسي الذي أتعبه، وقد دافع في هذه الوصية التي كتبها في معتقله عن شرفه وبرأ نفسه و أحباب البيان والحرية من هذه الأحداث.

ولكنه وبمجرد إطلاق سراحه سنة 1946 تراجع عن اعتزاله السياسة وعلل ذلك في كتابه ليل الاستعمار بقوله:" رأينا من واجبنا نظرا لنوايا أعدائنا أن نبقى في الكفاح، وأن نستأنف العمل حيثما تركناه".

وليجعل لنشاطه صيغة قانونية سافر فرحات عباس إلى باريس ليستشير مدرس الحقوق بكليتي باريس وتولوز حول موقف فرنسا من إمكانية جعل ولايات الجزائر دولة تحتفظ فيها فرنسا شؤون السيادة، فاعترف له بعدم مخالفة الفكرة.

ولهذا أسس حزبا جديد أسماه "الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري" وجعلوا شعاره:" نعم للاستقلال نعم للارتباط بفرنسا في شكل جمهورية جزائرية"، والملاحظ أن هذا الحزب هو امتداد لحركة أحباب البيان والحرية فيما يتعلق بالبرنامج والعمل،ويختلف في التنظيم، وقد قدم فرحات عباس قانونه الأساسي إلى المصالح المختصة في النصف الثاني من شهر أفريل قصد الحصول على الاعتماد والترخيص القانوني له.

2 -برنامج الحزب:

كان يقوم الحزب على محاور أساسية في برنامجه وهي:

- تحرير الجزائر من الاستعمار مع احترام مبدأ تعدد الجنسيات.
- إقامة جمهورية جزائرية مستقلة استقلالا ذاتيا ترتبط بالجمهورية الفرنسية الجديدة المناهضة للاستعمار والامبريالية في إطار فيدرالي.
- القبول بتعدد الديانات.
- إجبارية التعليم ومجانيته لجميع أطفال الجزائر ،والعمل على ترقية اللغة العربية باعتبارها اللغة الوطنية الرسمية.
- تخليص الإسلام لما آل إليه بفعل اعتداءات الإدارة.
- القضاء على النظام الإقطاعي ،والتركيز على الإصلاح الزراعي بهدف تحسين وضعية الفلاحين.
- نبذ استعمال العنف في مقاومة الاستعمار، والتأكيد على النضال السياسي كوسيلة لاسترجاع الحقوق.
-

3 – النشاط السياسي للحزب:

بعدما تحصل فرحات عباس ورفاقه على اعتماد الحزب، قرروا المشاركة في الانتخابات التشريعية الفرنسية المقررة في 1946/06/02، وقد حقق فيها الحزب نجاحا باهرا، إذ تحصل على 11 مقعدا من مجموع 13 مقعدا، مخصصة للجزائريين.

ويرجع محفوظ قداش هذا الانتصار إلى فشل سياسة الاندماج، التي تخلى عنها الشيوعيون أنفسهم، ولولا عملية التزوير التي أقدمت عليها الإدارة لكان انتصار الاتحاد أكبر.

بعد هذا الانتصار تقدم منتخبو الاتحاد الديمقراطي في 1946/05/09 بطرح مشروع الجمهورية الجزائرية إلى مكتب المجلس التأسيسي، والجدير بالذكر أنه بعد تقديمه لهذا المشروع وصلت فرحات عباس رسالة من الحبيب بورقيبة الذي كان بالقاهرة، أشار له بأن فرنسا لن تلبي أي مطلب من مطالبنا ونصحه بالانضمام إلى حزب الشعب الجزائري.

وبالفعل كان استشراف بورقيبة صحيحا، إذ ردّ المجلس التأسيسي بالرفض، بل لم يجهد نفسه حتى عناء مناقشة المقترح، وزاد في خيبة فرحات عباس هو صدور دستور الجمهورية الفرنسية الرابعة في أكتوبر 1946، والذي نص على أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، وأصبحت فكرة الاندماج هي الرابحة لأن البند 82 من هذا الدستور تأكد أن الأحوال الشخصية لن تكون أبدا سببا في حرمان أي مواطن من الحقوق والحريات التي تتعلق بالجنسية الفرنسية.

وأمام هذه الأحداث وافق الحاضرون في المؤتمر الأول لحزب الاتحاد الديمقراطي (أكتوبر 1946) على فكرة الاتحاد مع القوى الديمقراطية مع حزب الشعب، وطالبوا بإطلاق مصالي الحاج، وحققت لهم الإدارة الاستعمارية مطلبهم وأطلقت سراح مصالي الحاج ليكون منافسا قويا لفرحات عباس وحزبه في الساحة السياسية ،وبعد إطلاق سراحه التقى به وفد الاتحاد الديمقراطي في باريس، وعرضوا عليه الوضع وحاولوا إقناعه بضرورة الاتحاد وخصوصا وأن الانتخابات التشريعية على الأبواب، إلا أن مصالي الحاج وحزبه أرادوا الاستفتاء في فكرة الانتخابات لوحده

بعد انسحاب الاتحاد الديمقراطي منها، معللا فرحات عباس ذلك الانسحاب بعدم رغبة الوقوف أمام حزب وطني رفع قضية الاستقلال عالميا.

أما انتخابات مجلس الجمهورية فقد شارك فيها الاتحاد الديمقراطي وغاب عنها حزب الشعب، وتحصل الاتحاد الديمقراطي على أربعة مقاعد من أصل سبعة، وأمام هذا النجاح أعاد فرحات عباس طرح مشروع قانون الجمهورية داخل الاتحاد الفرنسي على البرلمان الفرنسي يوم 1947/03/21، لكن المجلس الوطني الفرنسي رفض مناقشة ذلك.

كما شارك الاتحاد في الانتخابات البلدية في أكتوبر 1947، فتحصل الاتحاد على 18% مقابل 33% لحركة انتصار الحريات الديمقراطية، و4% للحزب الشيوعي الجزائري وتحصل المستقلون على 45% من الأصوات، ورغم فشله إلا أن فرحات عباس نشر في مقالاته يؤكد فيها أن اختيار الشعب الجزائري يعد ترسيخ وتثبيت لفكره.

كان فرحات عباس يرغب في تكوين جبهة ديمقراطية مفتوحة حتى على أعضاء الحزب الشيوعي للوقوف في وجه الجبهة الاستعمارية، لكنه سرعان ما تراجع عن هذه الفكرة بعد اقتراح مصالي الذي نص على المشاركة في الانتخابات حول موضوع الأمة الجزائرية السيدة وكان هذا قبل انتخابات أفريل 1948.

وعلى الرغم من الضغط الإداري والتزوير الذي ميّز الانتخابات هذه،إلا أن حركة الانتصار انتزعت 30% من الأصوات، وبالتالي تحصلت على 9 مقاعد، في المقابل تحصل الاتحاد الديمقراطي على 8 مقاعد أي 17،5% من الأصوات، في حين تحصل مرشحي الإدارة على 41 مقعدا.

وخلال هذه الانتخابات أيقن الاتحاد الديمقراطي أن الإدارة الاستعمارية مصممة على حرمان الشعب الجزائري حقه في تقرير مصيره بنفسه، وأن التنازلات والحلول الوسطى لا تجدي نفعا، ولهذا صرح فرحات في مؤتمرات الحزب المنعقد ما بين 25-27 سبتمبر 1948 بتكريس الثورة بالقانون ،وطالب بالوحدة المغاربية في إطار اتحاد شمال إفريقيا وإدخال الديمقراطية إلى المجلس

الوطني، وتحويل الحكومة العامة إلى حكومة جزائرية ،والغاء القوانين التعسفية، كما وجّه المؤتمرين رسالة الشكر إلى هيئة الأمم المتحدة، طالبين منها مساعدة على كل الشعوب على منحها تقرير المصير، وإلغاء الاستعمار.

أما الحكومة الفرنسية فقد طلبوا منها إرسال لجنة تحقيق حول أحداث 08 ماي 1945 وتقديم تعويضات لضحاياها. وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين ،وإلغاء انتخابات المجلس الوطني، ومنح التعليم لجميع الأطفال المسلمين، والتثبيت الرسمي والإجباري للغة العربية، الإصلاح الزراعي، وإنشاء سياسة سكنية والصحة العمومية،كما دعا المؤتمرون إلى جبهة ديمقراطية لمواجهة الاستعمار، ولكن دون السير في سياسة حركة الانتصار للحريات الديموقراطية.

في عهد مايجلان كانت الانتخابات تزوّر، مما أدى إلى فشل الاتحاد الديمقراطي فيها(مارس 1949 تجديد المجالس العامة، الانتخابات الجزئية1951) فلم يبق للمنتخبين سوى الامتناع عن التصويت أو الاحتجاج، كما فتح لأبناء الحركة الوطنية المؤمنين بالثورة بأن العمل السياسي لا جدوى منه ،وأن السبيل الوحيد للخلاص من الاستعمار هو الكفاح المسلح.

ونتيجة لكل هذا اقتنع الجزائريون والأحزاب الوطنية بضرورة توحيد جهودهم، واجتمعوا بسينما دنيا زاد في 05 أوت 1951 وأعلنوا عن تأسيس" الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها"، وحددت أهدافها حول: إلغاء الانتخابات 1951/06/17ن واحترام الحريات الأساسية، وحرية الرأي والصحافة، الاجتماع، وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين ورفض الإجراءات التعسفية وإنهاء تدخل الإدارة في شؤون الدين الإسلامي للجزائريين.

قام الاتحاد الديمقراطي بنشاط مكثف داخل الجبهة الجزائرية، إذ تخلص نهائيا من قناعاته التي كانت تربطه بفكرة الاتحاد الفرنسي، لذا تجده قد ساهم في توحيد الطاقات الحية المغاربية في جبهة قوية، تعمل سياسيا واقتصاديا ،وتضمن لجميع السكان حقوقهم وحرياتهم.

وفي 28 جانفي 1952 وقّع فرحات عباس مع مصالي الحاج ميثاق "الجبهة المغاربية" إلى جانب زعماء الأحزاب المعبرة عن رأي شعوب شمال إفريقيا، وبموجب هذا التوقيع تمّ تأسيس لجنة

شمال إفريقيا للاتحاد والعمل وكذلك "لجنة المتابعة" التي أسندت لها مهمة الإشراف على حسن تنفيذ هذا الميثاق.

ونظرا للإخفاقات التي تكبدها حزب الاتحاد الديمقراطي في الانتخابات ،أدت إلى ظهور أزمة بفعل فقده للقاعدة الشعبية ،التي أصبحت لا تثق في تحقيق الجمهورية الجزائرية بالقانون الفرنسي، وإلى اليأس حتى من فكرة الحل الفيدرالي مع فرنسا، ورغم كل ذلك لم يتخل فرحات عباس عن التمسك بالحلول السلمية والطرق الشرعية ،وهذا ما ذكره في الذكرى العاشرة للبيان الجزائري.

وقبل اندلاع الثورة التقى فرحات عباس برفقة الدكتور أحمد فرنسيس وبومنجل بوزير الداخلية فرانسوا ميران، فأنبأه بالخطر المحدق بقوله:" نحن جالسون فوق فوهة بركان وأضاف منتقدا مزاعم الأوساط الرسمية الاستعمارية:" إن الجزائر ليست بلاد آمنة، والشعب الجزائري الذي تجرع كؤوس الذل يظهر السكينة ،لكن علامات السخط وإشارات عدم الرضا تبدو في ملامح الوجوه"

ثم بعد ذلك التقى فرحات عباس مع بومنجل وفرانسيس برئيس الوزراء "بيير مانديس" وطالب عباس تطبيق قانون 1947، فأجابه مانديس أنه يجهل الملف الجزائري، وبالتالي فهو بحاجة لمتسع من الوقت للاطلاع عليه.

وفي 14 أكتوبر زار فرانسوا ميران الجزائر وأكد في خطابه أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا ولا سبيل إلى قيام جمهورية فيدرالية، ومن يرفضون ذلك فقوة وعظمة فرنسا ستعرفان كيف تبرهنان لعم أن فرنسا سيدة مصير نفسها.

وقبل جولته إلى فرنسا كان فرحات عباس قد استدعته القاهرة لحضور احتفالات عيد الثورة المصرية، فذهب وقد من الاتحاد الديمقراطي لحضوره في جويلية 1954، فاستقبله محمد خيضر وبعد يومين دعا هذا الأخير فرحات عباس وقال له: " أعتقد أنه في موعد قريب جدا ستصيح إستراتيجية هؤلاء وأولئك قد تجاوزها الوقت، وسوف تفرض علينا وضعية جديدة، ونكون حينئذ مرتبطين بعمل واحد، في حزب واحد"، فسأله:" مثل ما كان الحال أيام أحباب البيان؟ فأجاب خيضر: نعم ولكن بشكل أفضل."

وكان محمد خيضر يقصد من وراء ذلك اندلاع الثورة التحريرية، التي كان موقف فرحات عباس منها هو الرفض، حيث كتب في جريدته يوم 1945/11/12ى:"إن موقفنا واضح ودون أي التباس، إننا نبقى مقتنعين بأن العنف لا يساوي شيئا". إن تخوف فرحات عباس من فشل الثورة لعدم التكافؤ بين القوى (الجزائرية والفرنسية) وأحداث مجازر أخرى كالتي حدثت في 08 ماي 1945، هو ما جعله يرفضها أو يتردد للالتحاق بها، ولكنه وبعد هجومات 02 أوت 1945 زال هذا التردد، وحَلّ حزبه والتحق بركب الثورة.

المصادر والمراجع:

- فرحات عباس/ ليل الاستعمار، وكتابه الآخر: تشريح الحرب.
- محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول.
- عبد الحفيظ بوعبد الله، فرحات عباس لبن الإدماج والوطنية (1919-1962) رسالة ماجستير، جامعة الحاج بخضر، باتنة، 2006.
- محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1939-1951)
- حميد عبد القادر، فرحات عباس رجل الجمهورية.
- محمد الصغير عباس، فرحات عباس من الجزائر فرنسية إلى الجزائر جزائرية (1927-1963) رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007.